اشتغالات التابو

نورس عادل هادي
Nawras Adil Hadi

ملخص البحث

يعدّ التابو أحد أهم المفاهيم المهيمنة في بنية العمل الفني ولاسيما النص المسرحي بوصفه اشتغالاً على ثنائيـــة الوعي والوجود بمجمل تحولاته وإفرازاته التي تؤثر في تشكل الخطاب الدرامي وبالتالي تنوعه في الرؤى والأساليب بحسب المعطيات الفكرية والجماليـــة التي تنبثق عنها ثقافـــة الفرد والمجتمع على حدٍ ســواء . من المنطلق أعلاه تبلـــورت خصوصية البحث بما تمخضت عنه فصوله ومباحثه ، إذ أحتوى البحث على أربعة فصول :-

الفصل الأول – الإطار المنهجي وتضمن :-

١- مشكلة البحث :-

دراسة اشتغالات التابو بوصفه مفهوماً ممنياً لمجمل التحولات الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، وانعكاساته ضمن مساحة معالجة المستجدات في الوقائع والظواهر الحياتية ومدى تأثيرها في الفعل السلوكي للفرد داخل النظام الاجتماعي ، ولاسيما ماتعرض له المجتمع العراقي من أزمات أدت إلى خلخلة أشكال السلوك الفردي وخروجه عن محددات النظام القيمي بصفته جامعاً لمفهوم التابو بمختلف أشكاله.

٢-أهميـــة البحث :-

تقصي اشتغالات التابو بصفته مفهوماً فكرياً ذا أبعاد اجتماعية وانعكاسات هذا المفهوم في المعالجة الدرامية للنص المسرحي العراقي ، مما يفيد الدارسين في مجال الأدب والنقد المسرحي .

٣-أهداف البحث :-

التعرف على أشتغالات التابو وكيفية معالجته في النص المسرحي.

٤- حدود البحث :-

الموضوعية : دراسة اشتغالات التابو وعملية معالجته في النص المسرحي العراقـــــي .

المكانية : النصوص العراقية المنشورة .

تحديد المصطلحات :-

اعتمد الباحث تعريف مصطلح التابو .

الفصل الثانـي:-

المبحث الأول :-

تطرق فيه الباحث إلى التطور التأريخي لمفهوم التابو .

المبحث الثاني :-

وفيه تطرق الباحث إلى مفهوم التابو في النص المسرحي .

الفصل الثالث – إجراءات البحث :-

أولاً : مجتمع البحث :-

احتوى مجتمع البحث على (١٥) نصاً مسرحياً نشرت في المدة الزمنية المحصورة من (١٩٩٠ م. الى ٢٠٠٠ م.) ، اذ توزعت موضوعات النصوص على مضامين مختلفة في طرحها للاشتغال التابوي ، واشتملت على النصوص العراقية .

ثانياً : طريقة اختيار عينة البحث :-

إذ لجأ الباحث إلى الطريقة القصدية في اختيار عينة بحثه .

ثالثاً : عينة البحث وسبب اختيارها :-

اختار الباحث مسرحيـــــــة (الجنة تفتح أبوابها متأخرة) ، تأليف : فلاح شاكر

واختارها الباحث وفقاً للمسوغات الآتية :-

١- يعد هذا النص المنتقى ممثل لمشكلة البحث وأهميته وأهدافه .

٢- يرى الباحث انه يسهم في اغناء البحث ، فضلاً عن تضمنها(التابو) واشتغالاته بمستويات عدة .

رابعاً : أداة البحث :-

اعتمد الباحث في ما يتعلق بتحليل العينة على ما تمت الاشارة اليه في الاطار النظري من مؤشرات بوصفها تمثل مرتكزات رئيسية في تحليل العينة .

خامساً : منهج البحث :-

اعتمد الباحث المنهج(الوصفي) في تحليل العينـــة . تبعاً لما تمليه عليه طبيعة البحث الحالي .

سادساً : تحليل عينة البحث :-

مسرحية (الجنة تفتح أبوابها متأخرة) ، تاليف : فلاح شاكر (١٩٩٨م).

الفصل الأول
الإطار المنهجي

أولا:ــ مشكلة البحث:

إن للإنسان وعياً تحيط به محددات وأنظمة شتى تقنن سلوكه اليومي ، الفردي والجمعي على حد سواء، إذ هو كائن مركب من مجموعة الغرائز والرغبات التي تتجه نحو التحرر داخل محيط السلوك الاجتماعي.

من هذا السلوك أعلاه برزت أطر وقوانين ترمي إلى رسم الخطوط العامة والخاصة في بعض الأحيان للمجتمع الإنساني، وعملية التفاعل بين أفراد المجتمع الواحد في محاوله تقنيين حياة الإنسان ضمن محيطه المعاش، وردع السلوك الشاذ في حالة خرقه للأعراف والقوانين التي نصت عليها القواعد القيمية ضمن زمان ومكان معينين، وعلى مستوى النص المسرحي العراقي امتازت أغلب النصوص بمراعاتها لمجمل التحولات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وتعدد زوايا الاشتغال ضمن مساحة معالجة مستجدات الوقائع والظواهر الحياتية، ومدى تأثيرها في الفعل السلوكي للفرد داخل النظام الاجتماعي، ولاسيما ما تعرض له المجتمع العراقي من أزمات أدت إلى خلخلة

أشكال السلوك الفردي وخروجه عن محددات النظام بصفته جامعاً لمفهوم التابو بمختلف أشكاله. ومن هنا تبرز مشكلة البحث إذ صاغ الباحث عنوانه الموسوم:(إشتغالات التابو في النص المسرحي العراقي)

ثانيا:ــ أهمية البحث والحاجة إليه:

تتمثل أهمية البحث والحاجة إليه بما يأتي :-

أ. تقصي أشتغالات التابو بصفته مفهوماً فكرياً ذا أبعاد اجتماعية وثقافية، وانعكاسات هذا المفهوم في المعالجة الدرامية للنص المسرحي العراقي.

ب. يفيد الدارسين في مجال الأدب والنقد، لاسيما المشتغلين في الحقل المسرحي على مستوى الأدب والنقد .

ثالثا :ــ أهداف البحث:

يرمي البحث إلى : التعرف على اشتغالات التابو، وكيفية معالجته في النص المسرحي العراقي.

ربعا :ــ حدود البحث:

أ. الحدود الموضوعية : تتمثل الحدود الموضوعية للبحث بدراسته للاشتغال التابوي وعملية معالجته في النص المسرحي العراقي.

ب. الحدود المكانية : تنحصر الحدود المكانية للبحث ضمن النصوص المسرحية العراقية المنشورة حصراً .

ج . الحدود الزمانية: الفترة ما بين (١٩٩٠م-٢٠٠٠م) .

١. التابو: Taboo

ذهب (مدكور) في تعريفه (التابو) على أنه:- مصطلح أنثروبولوجي يراد به الأشخاص، أو الأشياء التي يكون الاتصال بها ممنوعاً وعرضه للعقاب الشديد من جانب المجتمع أو من جانب الآلهة [١].

وجاء لدى(لالاند) أن (التابو):" يعني بالمعنى الحقيقي، في البولينيزية، ما هو خارج التداول الجاري.. إن السمة المميزة للتابو، فـــي حالة الانتهـــاك، ليس جزاء يمليه القانون المدني ، بل نائبة تصيب الفرد المذنب ، مثل الموت أو العمى"[٢]

واشتق الباحث تعريفه الإجرائي بالآتي : (التابو): مجموعة من النظم والقوانين الدينية، والوضعية، والعرفية ذات البعد القيمي التي تشكل حدوداً من غير الممكن الخروج عنها أو تجاوزها تنعكس إجرائياً في النص المسرحي على شكل صراعات بين أحداث وشخصيات النص الدرامي في كيفيات عدّة.

الفصل الثاني الإطار النظري

(١) ابراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، القاهرة: (الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية)، ١٩٨٣، ص٣٦.

(٢) اندريه لالاند : موسوعة لالاند الفلسفية ، مج٣، تر خليل احمد خليل ، بيروت : (منشورات عويدات) ٢٠٠١ ، ص١٤٢١.

(٣) فراس السواح ، الاسطورة والتاريخ ، بحث على شبكة الانترنت : WWW. Maber. ٥٠ . net

المبحث الأول:

التطور التاريخي لمفهوم التابو

تمهيد:

الوجود فعل شمولي تتصارع فيه القوى على اختلاف أنواعها وكيفياتها وينبثق من ذلك الصراع مفاهيم تختلف من مجتمع لأخر، حيث يتجلى مفهوم التابو منذ بدأ الخليقة ممثلا لقنوات عدة لوجود الإنسان ابتدأت من أولى محاولات البحث في الوجود وأسباب ظواهره الكونية (الشمس ، المطر ، السماء ، الأرض...الخ) بصفتها نتائج لأسباب مجهولة انبثقت عنها صور مثل الرسوم على الكهوف عند الإنسان القديم والطقوس ذات الهدف الديني الاجتماعي التي مثلت تجلياً ملوكياً للقصص الخرافية والأسطورية ضمن ثقافة كل مجتمع إذ إن" كل فعل من أفعال الإنسان بالنسبة للفكر الأسطوري أو أية ظاهرة من ظواهر الطبيعة ، لا تتمتع بقيمة ذاتيه بل إن قيمتها وحقيقتها تنبع من حقيقة خارج الملموس والمحسوس " [٣] فمفهوم التابو أنما هو مفهوم أزلي بدأ منذ بداية الإنسان وحتى الوقت الحاضر ولذا فأن دراسته تتطلب تتبع هذا المفهوم عبر حقب التراث الإنساني التي تبدأ من أولى الحضارات انطلاقا من الطقوس والأساطير، وعليه يرى الباحث ضرورة الدراسة على وفق المحاور في أدناه:

١) التابو في الحضارة الرافدينية.
٢) التابو في الحضارة الأغريقية.

التابو في الحضارة الرافدينية :

ترتقي الحضارة الرافدينية إلى مصاف أولى الحضارات التي شكلت تراكيب أقدم المجتمعات المتحضرة في تأريخ العمران البشري ، إذ أسهمت في خلق بيئة مميزة أثرت في تركيبة المجتمع وسلوكياته فكان "من المعروف في إنسان تلك العصور أنه كان شديد التأثر بالظروف الطبيعية ولاشك في أنه أحس من خلال تأملاته في ظواهر الطبيعية وخاصة تلك التي كانت لها مساس مباشر في حياته اليومية بأن في تلك الظواهر قوى أو أرواح تسبب في هبوب الرياح والعواصف ، وحدوث البرق والرعد ، وهطول الأمطار وحدوث الفيضان."(١) مما ساعد على لجؤ الناس مبكراً إلى التشبث بالواعز الميتافيزيقي بوصفه السبب والنتيجة ، وبالتالي فأن الأبعاد السايكولوجية لطبيعة الشخصية الرافدينية ارتبطت أرتباطاً مبكراً مع عقيدة خوفها من فعل الاستلاب الذي أنسحب تدريجياً إلى مساحة السلوك الثقافي الديني والاجتماعي، واسهم بصفته لبنة أساسية في تأسيس المفاهيم الفكرية المتعالقة بين الطقوس وحياة الفرد ، مما فسح المجال للشخصيات المهيمنة المتمثلة بـــ(الكهنة والملوك وخدام المعابد) أن تبسط سلطتها على مجتمع غير مقنن وفقا لأنساق ومرجعات ميثيولوجية، إذ كان "لكل دويلة مدينة مستقلة قوات مسلحة على أستعداد للدفاع عن المدينة وسيادتها وحماية ألهتها القومية أو الهجوم على المدن الأخرى أن أقتضت الظروف ذلك وأوحت الآلهة برغبتها في تنفيذ ذلك من خلال كهنتها أو ممثليها على الأرض" (٢) وهذا الاستلاب جعل

(١) ينظر: فاضل عبد الواحد ، وعامر سلمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، الموصل : دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٧٩، ص ١٧٣.

(٢). فاضل عبد الواحد ، وعامر سلمان ، المصدر السابق ، ص ١٢٢.

الإنسان الرافديني يشعر بحاجته إلى وجود قوى تسير حياته بدلاً عنه ، فتمخض هذا الأيمان ابتكار طرائق جديدة في التقرب إلى الآلهة وأطاعتهم تمثلت بالطقوس الدينية التي برزت في المجتمع بصفتها محاكاة لمفهوم التابو الميتافيزيقي داخل منظومة المجتمع الذي يخضع إلى كل القوانين الغيبية. وهنا نجد أمثلة كثيرة لعل من ابرزها طقوس الخليقة البابلية "وإذا ما انتقلنا من أبرز خصائص الديانة السومرية - البابلية إلى صلب العقيدة الدينية نفسها فأننا نجد أن المعتقدات والطقوس الخاصة بالتكوين والخصب كانت من أهم المبادئ التي يرتكز عليها الفكر الديني" (١)

أن مجمل الطقوس التي كانت تؤدى في الحضارة الرافدينية أنما هي محاكاة للمقدس الإلهي داخل فضاء من التابوات الفرعية المتمثلة بسلطة الأله وقدسية وجوده بوصفه المحرك الأول والأزلي لمجمل فعاليات الوجود والتي من أهمها فعاليتي النشؤ الإنساني والكوني في الطبيعة. فكان كلكامش ممثلا وبطلاً تراجيدياً لأحدى هذه النزعات الإنسانية التي يراد بها الخروج عن قانون الآلهة والطبيعة على حد سواء ، وهو ما تضمنته ملحمة كلكامش الأثر الأبرز الذي وصلنا عن الحضارة الرافدينية فمن "المتفق عليه بين المختصين بأن ملحمة كلكامش المدونة باللغة البابلية تعتبر من أشهر التأليف الأدبية في بلاد وادي الرافدين كما أنها في الوقت نفسه من أطول النصوص الأدبية المكتشفة لحد الآن "[٢] إذ تبحث هذه الملحمة في جدلية الإرادة الإنسانية بإزاء الإرادة الميتافيزيقية (الإلهية) المتمثلة بنزعة الخلوده ورفض فكرة الموت المحتوم الذي هو بمثابة أحد الثوابت الإلهية التي فرضت على البشر ، فالبطل هنا إنسان متمرد لم يقبل الانصياع إلى المطلق التابوي المتمثل بالموت والفناء المقدران على البشر ، كونه يحمل مميزات تختلف عن غيره.

عليه يرى الباحث أن مفهوم التابو في الحضارة الرافدينية يتمثل في المطلق الميتافيزيقي المتمثل في الآلهة ، والتي تمثلها الطبيعة والقانون الطبيعي في الوجود ولاسيما أن الأله في الحضارة الرافدينية تميز بالطابع السلطوي الذي سخرت لأجله كل مقدرات البشر والحياة الإنسانية على حد سواء.

التابو في الحضارة الاغريقية

انطلقت الحضارة الإغريقية من ثوابت فكرية ذات أبعاد تأملية ، أعتمدت تأملات وطروحات الفلاسفة الإغريقي، فضلاً عن الموروثات الميثولوجية في التاريخ الإغريقي المتمثلة في الخرافات والأساطير التي تناقلتها الأجيال شفاهياً وتبلورت في شخصيات وأحداث وجدت شكلها الكتابي في صور الملاحم (الهوميرية) والكتابات النصية في المسرحيات عند (أسخيلوس ،سوفوكس ، يوريبدس) .

حيث أتجهت الأساطير الإغريقية إلى السعي نحو شخصنه الأحداث ضمن رموز شمولية مثلت الفعل الإنساني في علاقته مع الفعل الميتافيزيقي .

من هذه المرجعيات وغيرها ولد شكل خطابي – شفاهي ، لمم في طيات تداوله ، شتات الأحداث والأزمنة المبعثرة عبر الحقب ، والأجيال إنها الأسطورة ، بتمثلها مرجعاً تاريخياً وفكرياً ومن ثم منبعاً درامياً يحتوي تلك الأفعال

(٣) المصدر نفسه، ص ١٧٣ – ١٧٤ .

(١). فاضل عبد الواحد ، وعامر سلمان، مصدر سابق، ص ١٥٩ .

بشموليتها الإنسانية .فمنذ" أن وقع النزاع بين أبن أتريوس ، ملك البشر ، وآخيل الرائع فأي رب إذا زج بهما في العراك المرير ؟ أبو لو ، أبن زيوس ، وليتو ، لنقمته على الملك ، نشر الوباء بين الجموع ، ففني الناس "[1] فملحمتي (الأليـــــاذه ، والأوديسة) كانتا أشبـــــه بمحاولة لشرح مفهوم التابو التي أقرته آلهة (الاولمب) على الأمة الإغريقية ، وكما هي أيضاً نذيراً من تلك القوى المحظورة إلى البشر تنذرهم بالعواقب الوخيمة في حال المساس بتلك المحظورات، أرادة الالهه ، اذ صار (هوميروس) أشبه بنبي يتلو آياته للناس وصارت أشعار هوميروس بمثابة كتابات مقدسه توجز جوهر المعرفة الإنسانية [2] وكذلك نجد (أوديب) أسطورة تحدثت عن رجل قتل أباه وتزوج أمة سعيا" نحو مخالفة القدر ونبؤاته التي حاول الهروب منها دون أن يعرف أن هروبه هو تكريس لأرادة الأنسان في كبح جماح القدر التابو لآنه من صنيعة الألهة وبألتالي فأن الخروج عليه بمثابة الوقوع في المحظور وهو الذي سبب الدنس لكل الشعب ومنذ "اللحظة التي ينزل فيها العقاب بنفسه يصبح أوديب مقدسا" يجلب السعد على المكان الذي يدفن فيه" [3]

فيجد الباحث أن الذات الأنسانية بكل ماتحمله من مفاهيم أجتماعية وسلوكية أنما هي أنبثاق وتمخضات عن المعطى الميتافيزيقي الذي ورثته الأجيال في المجتمع الأغريقي ضمن جدلية جعل فعل التابو الميتافيزيقي متوافقا" مع الفعل المادي المتمثل في التابو الذاتي وبألتالي أنزياحه على مساحة السلوك الجمعي " أن الدين هو دائما ضرب من تأكيد ذات الشخصية في الأبد "[4]

المبحث الثاني : -

مفهوم التابو في النص المسرحي

توطئة :-

تتسم حركة الفكر والخطاب المسرحي على حد سواء بأنها متنقلة ومتحولة وهو ما نتج عنه تنوعاً في الرؤى التي تعالج ثنائية الإنسان والوجود ضمن دائرة من التابوات والمحظورات التي تنطلق من منطلقات ميتافيزيقية وتختلف في كيفياتها وأشتغالاتها بصفتها تنوعاً قيمّياً لتاريخ الفكر الإنساني ، وعليه فسيتم تتبع مفهوم التابو في الفكر الإبداعي عبر الحقب في أدناه:-

الحقبة الكلاسيكية :-

أنطلاقاً من المرجعيات الميثولوجيا في الفكر الأغريقي ، فقد تميز آلادب الأغريقي بأنه أدب عني بمراجعاته لمفهوم التابو على المستوى الأبداعي ، حيث أهتم الشعراء الأغريق بمعالجة الموروث الشعبي المتمثل بألقصص والاساطير التي تحاكي مفهوم الألهة في مقابل البشر " أن الأسطورة بوصفها حالة متقدمة نسبياً في سياق الفكر البدائي فقد

(٢) هوميروس ، ملحمة الإلياذة ، ترجمة :

(٣). ينظر: أحمد عتمان ، الشعر الإغريقي تراثا إنسانيا وعالميا ، الكويت: سلسلة منشورا عالم المعرفة،

(١). محي الدين ، صبحي ، النقد الأدبي الحديث بين الأسطورة والعلم ، الدار العربية للكتاب ١٩٨٨ ، ص ١٢٠.

(٢) لوسيف ، الكسي ، فلسفة الاسطورة ، ترجمة : منذر حلوم ، دار الحوار للطباعة والنشر ،ط١ ،٢٠٠٠، ص ١٥٨ .

حاول الأنسان عن طريقها ، أستخلاص فكرة لها عن العالم وربطها بألفعل الميتافيزيقي المتمثل في الألهة من جهة ومدى أرتباط الفعل الأخلاقي للأفراد بالمثال الميتافيزيقي من جهة أخرى " [١]

وانعكس ذلك في الشعر التراجيدي بمسرحيات المثلث التراجيدي (أسخيليوس ،سوفوكلس ،يوريبدس) ،حيث تعددت القرأت لكل منهم ، فكانت مسرحيات (أسخيلوس تعالج موضوع الحرب وصراع الأرادات المتوزعة بين أرادة البشر مع بعضهم البعض من جهة ، وأرادتهم بأزاء أراة الألهة .

فيما عالج (سوفوكلس) صراع الأنسان مع القدر ،بوصفه فعلا" قدسيا"متمخضا" عن أرادة عليا لايمكن تجاوزها أو تصحيحها ومثال ذلك مسرحيات (أوديب ملكاً)، ألكترا ، .... الخ) حيث أنقسم مفهوم التابو الى قسمين هما التابو الميتافيزيقي والتابو الأجتماعي والذي يمثل بألتالي في كل قوانينه أنبثاقا" عن القسم الأول وتجسيداً له .

فيما تمثل الأدب المسرحي عند (يوريبدس) بأنه أدب خرج عن دائرة الميثيولوجية ونزل من الميتافيزيقا الى الواقع في محاولات (يوريبدس) معالجة القضايا الأجتماعية مثل مسرحية (مؤتمر النساء ، السايكلوب ...الخ) حيث ربط الفعل الميتافيزيقي بألفعل الأجتماعي من حيث التأثير والتأثر في بعضهما البعض وأنعكاس هذه العلاقه داخل البنية الأجتماعية التي تعددت في مستوياتها الفكرية للأنسان .

" التي يتصارع من خلالها مع عقلانية العالم، ولا عقلانيته، مع حريته وعبوديته، مع كماله ونقصه، مع الحقيقة الحقيقية والحقيقة الزائفة، بين الإنسانية القاصرة المستسلمة الأنسانيـــــــــة العليا، أي بين الناسوت واللاهـــوت ." [٢]

فهذه الإرادات المتنوعة توزعت بين مفاصل النص الإغريقي على وجه التحديد، الهدف منها هو دراسة الإنسان على اختلاف زواياه ونزعاته، لكنها تجمع على قضية جوهرية مفادها: ان الصراع الإنساني يتمثل في الصراع بين القوى الدنيا، والقوى العليا، فالأولى تتصارع لأنها تعتقد في نفسها فعلاً مقدساً، عليه ان يأخذ مداه داخل هذا الوجود، الا انها تواجه متوالية من التابوات والمحظورات، الميتافيزيقة، التي تحدد سلوكها وتؤطره ضمن خطوط لا يمكن تجوزها ولا يمكن التمرد عليها، فالفكر التراجيدي الإغريقي، اذن قائم بين مقدسين يتصارعان لإقصاء احدهما للآخر هما:

١. التابو الإلهي.
٢. التابو الإنساني.

حقبة عصر النهضة

مثل هذا العصر المنعطف الأبرز بكل ما حمله من متغيرات أبتدأت من الخروج عن فضاء الكنيسة وأستثمار هذا المكان في التطور المعماري الذي حدث بأيطاليا في بناء دور الأوبرا ، والقاعات المخصصة للعروض المسرحية والتي تمت بفعل التطور الأقتصادي ونمو التجارة انذاك .

---

(٣). حارث حمزة الحفاجي،تحولات المكان بين النص والعرض تجارب المسرح العراقي ، رسالة ماجستير ، العراق جامعة البصرة ، بحث غير منشور ، ٢٠٠٤ ، ص ١٢ .

٢ . حاوي ، أيليا ، يوريبدس ، بيروت : منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ،١٩٨٠، ص٩ .

جغرافيا" فيمثل عصر النهضة شكلا" فكريا" متوزعا" بين (أيطاليا ، فرنسا ، أنكلترا ، ألمانيا) فبعد الحراك الفكري بمستوياته المتعددة أخذا الأبداع يتأثر بهذا الحراك فكانت كتابات (بن جونسن) و (دانتي) وطروحات الفيلسوف الأيطالي (ميكافيلي) في أبرز مؤلفاته كتاب (الأمير) النقاط الأهم التي بثت مناهجها الجديدة داخل الحقل الأبداعي لاسيما المسرح، تمثلت في مسرحيات (توماس كيد) في أشهر مسرحياته (المأساة الأسبانية) و (كرستوفر مارلو) في (الدكتور فاروست ، يهودي مالطا ،.... الخ) . انها الفترة التي نجد فيها التوازن المتحول مابين الاهتمامات الفردية والأهتمامات الجماعية يثير أعنف الجدل وأشد الأقوال تطرفا" وتناقضا" بألتذبذب والتردد والتحفظ والرأي الذ ي يحمل النقيضين ، حيث تتضارب المطلقات بأقوالها ، ويتكشف الضغط على الأراء التقليدية بلجاجة النقاش أكثر منه بالنتائج المدركة ، فالدفاع الحار عن المثل الاجتماعية القديمة يأتينا بالقوة نفسها التي نجدها في الهجوم الصريح على الموقف التقليدي .[1]

حيث أتجهت هذه المسرحيات في معظمها الى الخروج عن دائرة التقليد الأتباعية للتقاليد المسرحية الأغريقية ، فكانت مسرحية (الدكتور فاوست) تعالج شخصية استوحاها المؤلف من التراث الألماني تتحدث عن شخص أعتد بقدراته فأتجه الى بيع نفسه للشيطان ، بهدف تحقيق كل مأربه والسيطرة على مقدرات البشر .

الا أن العلامة لأبرز في مرحلة عصر النهضة كانت الدراما الشكسبيرية ،بوصفها أشتغالا" دراميا" على الأبعاد الكلية والشمولية لقضايا الأنسان بأزاء عوالمه المتعددة التي يعيش داخل دائرة صراعاته ويحاول في الوقت ذاته التعايش معها أو أتخاذ قرار بشأنها "كان الأتجاه العام . في أواخر القرن السادس عشر ، يبتعد عن الأستمثال القروسطي للروابط القائمة بين الناس نحو الأحترام المتزايد للفرد الذي يحتويه عالمه الداخلي ، معزولا" عن الأخرين "[2]

فبرز أبطال (شكسبير) ، (مكبث ، هملت ، عطيل ، الملك لير ..... الخ) بصفتهم أبطالا" تراجيديين من نوع خاص ، فهم لم يمتلكوا أخطاء بألمعنى الأغريقي ، الا أنهم يمارسون فعل التطهير الأغريقي نظرا" لبروز أفعالهم غير المعتادة وأنحدارهم الى مساحة الأنحسار الأنساني فهملت بطل أتجة الى المعرفة الفلسفية واللاهوتية فأمن بألميثيولوجيا ، وهو ما تمثل بأيمانه بطيف أبية ونبؤة ذلك الطيف وهو ماأدى الى أغترابه داخل هواجسه التي يريد بها الأنتقام بغض النظر عن مدى صحة نبؤة الطيف، فيما مثل (عطيل) شخصية لاتنتمي الى محيط البطل التراجيدي الأرسطي ، أنما هي شخصية تعاني من مركب نقص كما عالجها (شكسبير) وحاول أثبات ذلك في أرجاعه الى المجتمع الشرقي والمغربي على وجه التحديد ، فضلا" عن وجهه الأسمر الذي ميزه عن البيئة النصية والدرامية التي يعيشها المتمثلة في أيطاليا ومدينة البندقية ، وهو ماجعل من عطيل قائدا"صلبا" أو صلته أنتصارته الى أن يحب (دزدمونة) أبنة الدوق التي تميز بجمالها الأبيض ، وهو ماأكده شكسبير في أيضاح الفجوة الطبقية بين ألوان البشر ، فكان المرجع الشرقي لعطيل تأثيره على مشاعره وأيقاعه في فخ الغيره الشرقية من قبل (ياكو) هو الخطأ التراجيدي عند (شكسبير

(١). ينظر: جانيت، ديلون ، شكسبير والانسان المستوحد ،ترجمة : جبرا أبراهيم جبرا ، دار المأمون للترجمة والنشر ، وزارة الثقافة والأعلام بغداد ١٩٨٦، ص ١٣ .

(٢). جانيت، ديلون ، مصدر سابق ، ص ١٤ .

) ان صح التعبير ، حيث أقدم (عطيل) بعد شكه بخيانة (دزدمونة) له مع (كاسيو) الى قتلها ، أنطلاقا" من الوساوس التي حولها ذهنه الى تأكيد ومن ثم الى القتل .

" ان عطيل لايمكن تخيله بدون عالمه الخاص هذا بما فيه من أصوات ، وأشخاص ، وأحداث ، هذا العالم الذي يصوره ويشتمل عليه . وهذا ينطبق أيضا" ، في رأيي ، على أنطوانيو ، والملك لير ، ومكبث – هملت . [1] ، فألكيانات الشكسبيرية نماذج عالجت المفهوم الأجتماعي للفرد ، بوصفه فعلا" محركا" ومطبقا" في الوقت ذاته لمجمل الأعراف والقيم الأجتماعية التي أفترضتها ثقافة عصر النهضة ، بوصفها شكلا" من أشكال المحظورات القيمية التي شكلت فضاءا" مقدسا" ، أستعاضت به عن التعاليم الكنسية الى هيمنة المجتمع .

فالتابو على وجه التحديد هو الفضاء القيمي الذي على الفرد الألتزام والتقيد به ، وهو مامثله الطموح المفرط عند (مكبث) والخيانه الزوجية من جهة ، وقتل الام والعم من جهة أخرى في مسرحية (هملت) والخيانة الزوجية وقتل عطيل لزوجته في مسرحية (عطيل) والطموح المتمثل في النزاع على السلطة في مســـرحية (الملك لير) كلها نماذج تثبت التابو السلوكي للفرد بأزاء المجتمع . " ما من شك أن الحالة المثلى هي تكامل الكينونة ، حيث تتوحد الذات الخاصة في الذات العامة ، حيث يساهم الفرد في المجتمع ويجد تحقيق ذاته فيه ، في أن معاً " [2].

عليه يرى الباحث أنطلاقا" من عنوان البحث وتقصيه لمفهوم التابو ان عصر النهضة مرحلة فكرية أعتمدت في نتاجاتها الأبداعية على معالجة الفعل الأخلاقي لدى الأنسان ، بوصفه كيانا" أجتماعياً يمثل المجتمع .

الحقبة الواقعية :-

مثل التطور الحاصل في مختلف جوانب الحياة الأجتماعية والأقتصادية وما تمخض عن الحراك الفكري الفلسفي في التيارات الفكرية الحديثة الى تطور الخطاب الأبداعي على المستويين الأدبي والدرامي ،فعلى المستوى الأدبي فقد ظهرت كتابات الروائيين مثل (فكتور هيجو) في رواية (البؤساء) في فرنسا ، والشاعر (ت،س، اليوت) في أنكلترا و (الحرب والسلام) ل (تولستوي) في روسيا ،حيث شكلت هذه النتاجات وغيرها منعطفا" لأدب مثل بدايات عصر الحداثة . فالواقعية أنصبت على " الأهتمام بالطبقات الأجتماعية المتعددة بما فيها الوسطى والفقيرة والمهملة وعدم الأقتصارعلى شرائح النبلاء والأرستقراطيين وكبار البرجوازيين ، أن الواقعية أتجاه نحو الأنسان بشكله المشخص لا الكلي" [3]

(١) كلينث بروكس ، مصدر سابق ، ص٥٨.

(٢) جانيت ديلون ، مصدر سابق ، ص١٧ .

(٣) عبد الرزاق الاصفر ، المذاهب الأدبية لدى الغرب ، دمشق : اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٩ .م. ، ص ١٣٦ .

وفي حقل الأدب الدرامي فقد تميز الأدب الدرامي بثيمة القيمة التي حاول الكتاب معالجة المجتمع أنطلاقا منها بوصفه قيمة مقدسة يكون الأنسان محور الصراع داخل جدلية الكينونة التي تتصارع داخلها مجمل الشرائح والطبقات.
فكان (أبسن) أول الكتاب المسرحيين في مسرحياته (عدو الشعب ، البطة البرية ، بيت المية ، الأشباح ، .... الخ)، حيث حاول معالجة مشاكل التأثير الأقتصادي في المجتمع على وفق جدلية العقل ، الضمير ، الواجب ، في أعتماده الأسرة نقطة الأنطلاق في الخاص الى العام ، بصفتها عينة تمثل العام الخارجي بمجمله فقد.
" تميزت مسرحيات أبسن بألتركيز على الصراع بين واجب الفرد تجاه نفسه وضميره وواجبه تجاه الأخرين – المجتمع . وكانت شخصياته تحمل أهدافا" ذاتية وأهدافا أخرى سياسية أحيانا" أخرى وفي صراعهم يعانون ويضحون بأستقامتهم ونزاهتهم ويدوسون على أثار الأخرين " [١]
فضلا" عن ذلك فأنه أعتمد ترميزات حاول من خلالها الأيماء بماهية القضية الأنسانية في النص ، أذ كانت شخصياته تحاكي رموزها وتوحي بحالة أبطالها وهو أسلوب أعتمده الكاتب في محاولة أيجاد توصيف دلالي أنعكس على عنوانات مسرحياته المذكورة في أعلاه .وكانت مسرحيات (أنطوان تشيخوف) محاول لدراسة المركب الأجتماعي للواقع عن طريق أعتماد قصص وأبطال ينتمون الى مساحة الواقع الحقيقي بكل معطياته النفسية والأجتماعية والقيمية ، " وبصفة عامة كان هناك نزوع واضح الى مايمكن أن نسمية بألواقعية الشعرية لرموزها الثرية بألدلالات والأيحاء ومحاولته للتركيز على الأحداث البسيطة في حياة الأنسان العادي حيث يدور المشهد في حجرة الاستقبال أو الطعام المألوفة من خلال العائلة البرجوازية الصغيرة وتتفجر الدراما في هذه الحياة العادية والمشهد المألوف من خلال التضاد بين الماضي والحاضر وبين ماتتوهمه الشخصية عن نفسها وواقعها وحقيقة هذه النفس وذاك الواقع [٢]
ولعل (سترنبرج) هو الكاتب الأبرز الذي دخل الى محيط الفعل النفسي في تحليل السلوك الأنساني الواقعي أنطلاقا" من معطيات النشأة الأجتماعية للأفراد داخل البيئة الواحده، حيث سيطرت دراسته للتأثيرات النفسية على مجمل كتاباته المسرحية على سبيل المثال (المس جوليا ، الطريق الى دمشق ، الحلم ،.....الخ) ، فنجد سترنبرج متعددا" في أساليبه الجماليه في أنه كتب المسرحيات التأريخية مصرحا" فيها عن أفكاره الصوفية الجديدة في طبيعة الخلق والأنسان وأستخدامه لأتجاه أطلق عليه الطبيعية الجديده في مسرحيات الجرائم انواع ١٨٩٩.م. وعيد الفصح ١٩٠٠ ورقصة الموت ١٩٠١ يضاف الى ذلك أنه رفد الأدب المسرحي الأوربـــي في

(١) سامي عبد الحميد ، ابتكارات المسرحيين في القرن العشرين ، ص ٦ .
(٢) صبري حافظ ، مسرح تشخوف ، بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٣ م. ، ص ١٠٤ .

القرن العشرين بأستخدامه المذهب التعبيري في مسرحية الطريق الى دمشق ١٩٠٤ وبأستخدامه المذهب الرومانسي الجديد في مسرحية عروس التاج وكذلك أستخدامه المذهب السريالي بشكله الأولي في مسرحية الحلم ١٩٠٢ .[١]

" فألمذهب الواقعي هو منهج فني يرتكز الى معرفة عقلانية تتطابق مع القوانين الوضعية الخاصة بالواقع الحقيقي الذي يتم أدراكه من جانب الفنان " [٢]

عليه يرى الباحث ان مفهوم التابو في الواقعية هو عملية جدليه ترتكز على مناقشة أفعال السلوك الأنساني بأزاء الواجب الأجتماعي أو الضمير بكل ما يحمله من معطيات وضعية وعرفية وقيمية .

الحقبة التعبيرية :-

مع أستمرار التطور الحاصل في مجالات الحياة عامة وأنبثاق العلوم الآنسانية التي أنسلخت من الفلسفة لتأخذ هويتها . بصفتها علوما" مستقلة ، لعل أبرزها علم النفس الذي تمثلت مناهجه وطرحاته عند (فرويد) و(أدلر) و (يونغ) ، منعطفاً في التأثير داخل منظومة المدركات الآبداعية للأدب شعراً وروايتاً وقصة ، حيث أتجه الاهتمام نحو الغوص الى أعماق النفس الإنسانية بكل أنفعالاتها وعواطفها ونزعاتها التي لا تتطابق أحيانا مع معطيات الوجود المادي أعتقد التعبيريون أن الحقيقة الأساسية تكمن داخل الإنسان ، داخل روحه وفي رغباته ورؤاه.وبالتالي لابد من أعادة صياغة حقيقة الواقع الخارجي بما يتلاءم والنزعات . ولذلك لابد من إعطاء الحافز الذاتي الأولوية على المظهر الموضوعي في التعبير ."[٣]

فقد برزت الدراما الألمانية بوصفها المبشر الأول للتعبيرية في العالم ابتدأت عند أبز كتابها هو (جورج كايسر) في مسرحية (الحصار) و (راينهارت) في مسرحية (الفقير) التي اعتمدت بمجملها على دراسة الصراعات الداخلية والصراعات لأبطالها التي لم تستغني عن الرجوع إلى أبطال الأساطير اليونانية وأساطير التاريخ في القرون الوسطى بوصفها رموز شمولية يمكن صياغتها بما يتلاءم والواقع .

وتعد مسرحية (الغاز٢) أحدى المسرحيات التي تجلت فيها ملامح التعبيرية بشكل متكامل في اعتماد شخصية (عامل) في مصنع أمله أن يغير المجتمع لكنه أنسحق تحت وطأة الآلة الصناعية ورأس المال والظروف السياسية حتى تحول الإنسان إلى أله مجردة من الأحاسيس والعواطف وكل هدف وجوده هو خدمة أرباب المال

---

(١) ينظر : مالك بري وجيمس مآكارلن ، الحداثة ، ترجمة : مؤيد حسن فوزي ، بغداد : دار المأمون للترجمة ، ١٩٩٠م . ص ٢٧٤-٢٧٥ .
(٢) جميل نصيف التكريتي ، المذاهب الأدبية ، بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٠ م. ، ص ٢٢٢ .
(٣) سامي عبد الحميد ، مصدر سابق ، ص ١٢٤ .

والساسة . فالشخصيات أو بكلمة أدق (تتغير السمات المميزة المشروطة بالشخصيات التي تدير الحوار ، ويتغير مكان الحدث غير أنه موجه حرفياً خلال كل لحظة من لحظاته وكل نقطة من نقاطه بثبات مرهق نحو تأكيد الأزمة واستحالة تغيير الحالة ، فعناصر النص التعبيري تتسم بالتفكك الجامد والبساطة في التركيب [١] فالمسرحية في المذهب التعبيري أنما هي حالة من حالات التمركز داخل فضاء النفس الإنسانية والخروج عن معطيات المادة والوجود المستلب للفرد ، انطلاقا من أن الإنسان كائن عاطفي لا يمكن تجاهل طموحاته ورغباته ، وان التابو لديه هو إنسانيته التي لا يمكن إقصائها على حساب ماكينة الاقتصاد والسياسة ، ولايمكن نفي الذات على حساب المادة .

الفصل الثالث

إجراءات البحث

أولاً: مجتمع البحث

أحتوى مجتمع البحث على(١٥)* نصاً مسرحياً نشرت في المدة الزمنية المحصورة من(١٩٩٠م-٢٠٠٠م) إذ توزعت موضوعات النصوص على مضامين مختلفة في طرحها للاشتغال التابوي ، واشتملت على النصوص العراقية.

ثانياً: طريقة اختيار عينة البحث:

لجأ الباحث إلى الطريقة القصدية في اختيار عينة بحثه.

ثالثاً: عينة البحث وسبب اختيارها: مسرحية الجنة تفتح أبوابها متأخرة، تأليف: فلاح شاكر

وقد اختارها الباحث وفقاً للمسوغات الآتية:-

١. يعد هذا النص المنتقى ممثل لمشكلة البحث وأهميته وأهدافه.

٢. يرى الباحث أنه يسهم في أغناء البحث، فضلاً عن تضمنها (التابو) واشتغالاته بمستويات عدة.

رابعاً: أداة البحث

أعتمد الباحث في ما يتعلق بتحليل العينة على ما تمت الإشارة إليه في الإطار النظري من مؤشرات، بوصفها تمثل مرتكزات رئيسة في تحليل العينة.

خامساً: منهج البحث

أعتمد الباحث المنهج (الوصفي) في تحليل العينة، تبعاً لما تمليه عليه طبيعة البحث الحالي.

سادساً: تحليل عينة البحث:

مسرحية (الجنة تفتح أبوابها متأخرة)

تأليف: فلاح شاكر (١٩٩٨)

---

(١) : ينظر : س .كورنيان ، موسوعة نظرية الأدب ، ترجمة جميل نصيف التكريتي ، بغداد : دار المأمون ، ١٩٨٠م. ، ص ٨١٤-٨١٥ .

* ملحق رقم (١) يبين مجتمع البحث

تتحدث المسرحية عن قصة أسير حرب عاد الى بيته بعد سنوات من الغياب محتفظاً بذكرياته عن الحياة التي غادرها قسراً وهي الشخصية الاولى التي تمثل الرجل بكل ما يمكن ان يحمل من صفات(الزوج، الاب، الاخ..الخ)، وعند وصوله يصطدم بنكران زوجته له لا لسبب سوى انها لم تعد تعرفه، فالزوجة الشخصية الثانية التي تمثل(الزوجة، الام، الاخت..الخ) وهو المنطلق للحدث الدرامي الرئيس الذي اعتمده المؤلف في معالجته للقضايا الاجتماعية، والسياسية، والدينية بوصفها تابوات تمترس بثباتها بنية الإنسان القيميّة، فالا منطق واللامعقول احدى اهم السمات التي امتاز بها خطاب النص: الاسير: وهل تركت لنا الحرب عقولاً نهتدي الى حكمها؟(ص٦)

كما تظهر في المسرحية شخصيتان هما (المعلم) و(الحارس) الذي اعتمد المؤلف ظهورهما خارج قيد التسلسل التقليدي للأحداث:

الأسير: الأستاذ يوسف كان هنا..؟

المرأة : الأستاذ يوسف أختفى منذ زمن طويل!(ص١٤)

لقد قسّم المؤلف نص المسرحية الى ستة لوحات واعتمد الشكل الدائري في بنية النص إذ تدور الاحداث عائدةً الى نقطة الانطلاق الاولى المتمثلة بدخول الاسير الثاني والاسير الثالث ..الخ، في نهاية المسرحية اشارة منه الى لا نهاية الحرب، ولا نهاية ازمات الانسان، فمن غير الممكن ان ينفصل الخطاب الابداعي عن حقبته الزمانية التي احتوت ظروفها بشتى اشكالها، سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً بكل ما تبثه في تأسيس الخطاب الثقافي للفرد والمبدع على حد سواء.

وعلى مستوى بناء الشخصية في النص امتازت الشخصيات بشكلها التعبيري الذي استطاع فيها المؤلف بث واظهار الواقع النفسي، وإرهاصاته بازاء أزمتها، فارتكزت الشخصيات على فعل الانهيار الناتج عن محاولات ترميم القطيعة بين فعلي الحضور والغياب:

" الاسير: أنتم تخونونني..أنت خائنة، لست زوجتي(يدخل من الباب) ما اضاعني

الأسير.. بل أضاعني أنك أتلفت ذكرياتي(يرمي حقيبة بيده)..أهكذا أعود

أهكذا تكون مملكتي.."(ص١)

فالجنة وأبوابها التي لم يفتحها المؤلف إلا متأخرة إنما هي تعبير عن تكريس لعبثية الوجود الإنساني في زمن الحرب وفعل الانتظار للموت بهدف الخلاص من عذاب الوجود وغربته.

فالاشتغال التابوي في نص مسرحية (الجنة تفتح أبوابها متأخرة) يمثل جدلاً وجودياً قائماً على معطيات التفاعل بين الذات والواقع المعاش انطلاقاً من مستويات تابوية عدّة أهمها:

- التابو الاجتماعي.
- التابو السياسي.

- التابو الديني.

قائمة المصادر:

١. أديث ، هاملتون ، الأسلوب اليوناني في الأدب والفن ، ترجمة : حنا عبود ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٩٧.
٢. الأصفر ، عبد الرزاق المذاهب الأدبية لدى الغرب، دمشق : أتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩
٣. : بري ، مالك وجيمس ماكفارلن ، الحداثه، ترجمة :مؤيد حسن فوزي ، بغداد : دار المأمون للترجمة ، ١٩٩٠
٤. جميل نصيف التكريتي ، المذاهب الأدبية ، بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠.
٥. حافظ ، صبري مسرح تشخوف ، بغداد : دار الحرية للطباعة، ١٩٧٣.
٦. حاوي ، أيليا ، يوربيدس ، بيروت : منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ،١٩٨٠
٧. الخفاجي، حارث حمزة تحولات المكان بين النص والعرض تجارب المسرح العراقي ، رسالة ماجستير ، العراق جامعة البصرة ، بحث غير منشور ، ٢٠٠٤.
٨. ديلون ،جانيت، شكسبير والإنسان المستوحد ،ترجمة : جبرا أبراهيم جبرا ، دار المأمون للترجمة والنشر ، وزارة الثقافة والأعلام بغداد ١٩٨٦.
٩. السواح ، فراس الأسطورة والتاريخ ، بحث على شبكة الانترنت :www.maber.٥٠.net
١٠. عبد الواحد ، فاضل وعامر سلمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، الموصل : دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٧٩.
١١. عبد الحميد ،سامي ابتكارات المسرحيين في القرن العشرين
١٢. صبحي ، محي الدين ، النقد الأدبي الحديث بين الأسطورة والعلم ، الدار العربية للكتاب ١٩٨٨.
١٣. عتمان ،أحمد ، الشعر الإغريقي تراثاً إنسانياً وعالمياً ، الكويت: سلسلة منشورات عالم المعرفة
١٤. الكسي ، لوسيف ، فلسفة الأسطورة ، ترجمة : منذر حلوم ، دار الحوار للطباعة والنشر ،ط١ ،٢٠٠٠.
١٥ . كورنيان ، س. موسوعة نظرية الأدب ، ترجمة جميل نصيف التكريتي ، بغداد : دار المأمون ،١٩٨٠.
١٦. براهيم مدكور: المعجم الفلسفي، القاهرة: (الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية)، ١٩٨٣.